تاريخ الفلسفة
العقل والعواطف عند سبينوزا 37
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

نظرة ختامية على فلسفة سبينوزا، العقل والعاطفة، تقودنا إلى أخلاقياته، التي هي في الواقع عنوان العمل الرئيسي بأكمله، رغم أنه يستغرق وقتًا طويلاً للوصول إليها ، وتقودنا إلى ما ينطوي عليه بوضوح من دلالات دينية لفلسفته الوحدوية .لذا دعونا نُنعش أذهاننا أولًا بالمبادئ التي يطرحها في النقاش، وآمل أن تكون هذه .المبادئ واضحة لديكم الآن .أولها، بالطبع، هو مذهبه الأحادي ذو الجانبين

هناك كيان واحد شامل، جوهر، له صفتان على الأقل، صفتان نعرفهما .يبدو أن الفكر يستلزم تنظيمًا ووعيًا وامتدادًا ، أي وجودًا ماديًا .لذا فهو يفهم مادية هذا الكيان الواحد من منظور العلوم الميكانيكية السائدة .آنذاك

،بهذا المعنى، هو مادي .ويبدو أنه يفكر في هذا التنظيم الواعي والمفهوم بطريقة ما موازية للوغوس الرواقي الذي ربطه فيلو الإسكندري باليهودية، والذي عمل عليه لاحقًا مفكرون مسيحيون .بحيث يكون لديك في .مجمل الواقع هذان الجانبان، هذان الجانبان منه، كما اعتقد الرواقيون

هناك المادة المادية، المادة الأساسية، المادة الأولية، وهناك بنية اللوغوس، نظامها، الذي يمنحها ذلك الكون المنظم .سمِّها طبيعة، سمِّها الله، إنها شيء واحد .وعلى المستوى المحدود، يعني هذا، بالطبع، أن كل ما يتعلق بنا جميعًا ليس سوى لحظات محدودة، أنماط محدودة كما يقول، لحظات محدودة في كيان الواحد .الشامل

.لذا فإن أفكارك الحالية هي أفكار الله الواضحة والمميزة، وليست بالضرورة بنفس الوضوح والتميز في تفكيرك وحالتك الجسدية الحالية، وعملياتك الجسدية، هي بلا شك جانب محدود من الكون المادي الشامل .لذا .ينطبق هذا الجانب المزدوج على كل من المستوى اللامتناهي والشامل، والمستوى المحدود والجزئي

أجد صعوبة في فهم الأنماط .يصفها في البداية بأنها تغير أو تُغير المادة .هل يعني ذلك التحول من اللانهائي .إلى المحدود أو شيء من هذا القبيل؟ لا

لأنه يصف نمطًا محدودًا .يتحدث عن الأنماط كما لو كانت نوعًا من التعديل .كما لو كان تغييرًا ما، كما .ذكرت، يحدث في الواحد

هل يتغير المفهوم الشامل نفسه؟ لا .لا ، بمعنى أنه يبقى شاملاً دون تغيير .فإذا كان شاملاً، فلا يوجد شيء .يمكن أن يتحول إليه لأنه يشمل جميع الاحتمالات

التغيير الحاصل يكمن في الأنماط المحدودة التي تأتي وتذهب ضمن الكلّ .لذا فإن أفكارك بالأمس وأفكارك .اليوم هي مجرد تغييرات تحدث أثناء مرورها ضمن الفكر الأزلي الشامل .الكلّ، كما ترى

وتغيرات جسدك ، وتغيرات وضعيتك، وتساقط شعرك .هذه تغيرات على مستوى محدود .أما الشمولية .فتشمل كل شيء

.إذن لا يمكنك القول إن الله الواحد يتغير .كلا .هو واحد لا يتغير

لكن التغييرات تحدث ضمن العمليات المحدودة، وهناك فقط يحدث التغيير .عندما تحدثنا في المرة الماضية عن الخطأ ، هل يعني ذلك أننا مخطئون؟ لننظر إلى الأمر من منظور الخير والشر .هل الشر موجود في الله؟ هل الخطأ موجود في الله؟ حسنًا، رأينا في المرة الماضية أن الخير والشر، عند سبينوزا، مفهومان .ملتبسان

إنها ليست أفكاراً واضحة ومحددة، بل هي أفكار خيالية نبتكرها .لا يوجد مقابل موضوعي ، ولا مرجع . موضوعي لما نسميه خيراً أو شراً في الواقع

لا وجود لحقيقة موضوعية للخير بمعزل عن الشر، ولا للشر بمعزل عن الخير .وينطبق الأمر نفسه على .الخطأ .فالخطأ ينشأ من أفكار مشوشة نوافق عليها

إن الموافقة التي نعتقد أنها مسألة إرادة حرة، هي فكرة ملتبسة أيضاً .لذا، فإن كل ما يتعلق بالخطأ هو مسألة .تشويش فكري من جانبنا .وهذا لا ينطبق على مسألة الله

كما ترى، لا تظهر تلك الغموض والتمييز إلا في الأنماط المحدودة .تلك الالتباسات، وتلك التخيلات .لدينا .ثلاثة أنماط من التفكير

.الرأي، والخيال، والعقل .الله لا يملك إلا فهماً واحداً واضحاً ومتميزاً، وهو العقل .لذلك لا يوجد خطأ في الله

هل يعني هذا أننا نستطيع التفكير في الأشياء؟ إلا أننا حين نفعل، لا نفكر في الأشياء نفسها .فنحن لا نفكر في . أي شيء غير موجود، أليس كذلك؟ إنما تراودنا أفكار مشوشة .الأفكار مجرد خواطر عابرة

.إنها ليست أشياء .هناك شيء واحد فقط ذو جوهر .إنه الله

إذا كانت لديك فكرة خاطئة عن بعض الأشياء المحدودة، فذلك ببساطة ناتج عن غموض في تفكيرك بشأن الله .لأن أي شيء محدود هو صورة محدودة لله .لذا فإن أخطاءك ما هي إلا خلطك بين الجوهر الواحد .وصفاته وصوره

روث؟ ليس الأمر كذلك تمامًا ...لقد ناقشتِ كيف أن العمل الفاضل هو تكتيك للبقاء .وأننا مصممون على التصرف بهذه الطريقة لأنها تُفيد حياتنا .وهو يقول إنه فقط من خلال العيش بعقلانية سليمة يمكننا أن .نعيش حياة فاضلة

وسؤالي هو :هل هناك طريقة محددة ...من خلال عقلنا، يمكننا الاستمرار في الوصول إلى الإجابات والمعلومات الصحيحة حول كيفية ...حسنًا، هذا أيضًا من مبادئ الرواقية .تذكر أن الرواقيين كانوا يركزون .على العقل السليم بمعنى التأمل في نظام الطبيعة وقبول مكانتنا فيه .ومقولة سبينوزا هي نفسها جوهريًا

إنّ الفهم الواضح والدقيق لمكانتك في الطبيعة يُفضي إلى السكينة والفضيلة، وما إلى ذلك .ولكن من جهة أخرى، أنت مُحقّ في أنّه عندما يتحدث بتلك المصطلحات، أربعة وخمسة، يبدو الأمر أقرب إلى الفلسفة .الأفلاطونية منه إلى الرواقية .وهذا النوع من التفكير هو ما عزاه البعض إلى الأدبيات القبالية في اليهودية

في تاريخ الفكر اليهودي، نجد بعضاً من الأفلاطونية اليهودية، كما في حالة فيلو، وبعضاً من الأرسطية .اليهودية، كما في حالة موسى بن ميمون .أما الأدب الكابالي فكان أقرب إلى التقاليد الغنوصية

على الأقل، هكذا يُوصف الأمر عادةً .الآن، كان نوع التقاليد الغنوصية التي صادفناها ثنائياً .ولكن كان هناك .أيضاً نوع من الغنوصية يتسم بتسلسل هرمي للوجود

كما ترى، هناك تسلسل هرمي أحادي الجانب للوجود، كما وجدناه في الأفلاطونية الوسطى .وقد استقوه من .الفيثاغوريين الجدد، الذين تأثروا بالغنوصيين .وبالطبع، انتقل هذا التسلسل إلى الأفلاطونية المحدثة

ويبدو لي أن هذا العنصر، حتى وإن كان متأثرًا بالأدب الكابالي لليهودية، الذي يُشدد على محبة الله، والوصية الأولى والعظمى، وشهادة إسرائيل القديمة :اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا واحد، وما إلى ذلك .والبركة تكمن في .محبة الله .وهذا لا ينفي وجود تأثير أفلاطوني فيه، حتى ضمن التقاليد الكابالية

هل هذا منطقي؟ وكما تعلم، يمكنك النظر إلى البنية العامة لفكرته، وتذكر كيف صغتُ الكلمات ، يمكنك اعتبار ذلك نوعًا من التسلسل الهرمي للوجود .إلا أن هذا هو موضع القصور؛ فلا يوجد انبثاق من الله إلى .خارجه .فالأشياء المحدودة ليست شيئًا آخر غير الله، بل هي فيض منه

أما في الأفلاطونية المحدثة، فهذا ما يُسمى بالفيض الإلهي .إنها من جوهر الله نفسه الذي فاض منه .ولكن .لا، إنها مظاهر لوجود الله ذاته

الأمر مختلف تمامًا .لذا، من الناحية الميتافيزيقية، يبدو أقرب إلى وحدة الوجود الرواقية، مع وجود بعض الدلالات الأخلاقية التي قد تُذكّرنا أكثر بأفلاطون .هل فهمتم؟ أرى بعض الرؤوس تهزّ، والعيون مفتوحة على .مصراعيها، متيقظة

،حسنًا، إذن، إحدى المقدمات تتعلق بوحدة الوجود ذات الجانبين .وبما أنني ذكرت ذلك بالفعل في النقاش .فإن مقدمة أخرى تتعلق بالأفكار الخيالية والملتبسة عن الخير والشر .حسنًا

إذن، لا يوجد خيرٌ منفصلٌ عن شرٍّ بمعنيين منفصلين .كلا .وبالطبع، تتعلق الفرضية الأخرى بحتميته .المطلقة، حيث إن كل ما يحدث في الله مُحدَّدٌ بجوهر الله نفسه

وبالتالي، فإن كل نمط فكري محدود يتحدد بالأثر السببي لأنماط فكرية أخرى .وكل ما يحدث في الطبيعة ناتج عن أحداث فيزيائية محدودة، وهذه بدورها ناتجة عن حتمية شاملة وواسعة النطاق .سنرى المزيد من هذا لاحقًا، لكن بالأمس، سأل أحدهم في المكتب، ولم يستطع كتمان أسئلته عن سبينوزا، بل إن شخصين لم .يستطيعا ذلك أيضًا، فدخلا المكتب مسرعين بأسئلة حول سبينوزا

تساءل أحدهم :ما الذي يحرك هذه العملية السببية المستمرة؟ أرأيتم؟ ما الذي يحرك هذه العملية؟ من الواضح أن هناك شيئًا لا بد أن يبدأها فحسب، بل ويحافظ عليها أيضًا .أرأيتم؟

والإجابة، بالطبع، هي، بتعبير آخر، جوهر الله، وهو الدافع السببي .كما ترى .أو كما يقول هو في تطوير علم .النفس الخاص به، إنه النزعة

هذه هي الكلمة اللاتينية التي اشتُقّ منها مصطلحنا النفسي، وهو "الدافعية ."وتشمل هذه الدافعية تلك .المتعلقة بالإرادة، والحزم، وما إلى ذلك

.إنها جوهر الوجود .وكأنّه يقول :مهلاً، أيها العلماء الميكانيكيون

هل المادة ميتة إلى هذا الحد؟ أم أنها في الحقيقة مجرد كتلة من الطاقة؟ إذا كان هذا هو الأساس الذي يقوم عليه هذا الكلام، فهو يسبق عصره بمئتي عام .هل المادة ميتة، خاملة، لا تتأثر إلا بالعوامل الخارجية؟ هذا .هو المنظور العلمي الميكانيكي

أم ربما لم يكن فلاسفة ما قبل سقراط مخطئين تمامًا عندما قالوا إن المادة حية بمعنى ما، مليئة بالألوهية ؟ ،هل تذكرون طاليس؟ حسنًا، يبدو أن سبينوزا يفكر في هذا الاتجاه .وفي الأسبوع المقبل، عندما نتناول لايبنتز . ستجدون أنه يفهم المكونات الأساسية للواقع على أنها وحدات طاقة بحد ذاتها

.كما تعلم، نعم، إنه يتحدث عن الجوهر ، أوه، إنه من أنصار التعددية، أي أن لكل جوهر وحدة طاقة أو قوة .لم يسمع قط بمعادلة الطاقة تساوي مربع سرعة الضوء، لكنه فهم الفكرة

ليس سيئًا بالنسبة لكتاب صدر عام ١٧٠٠ .اسأله سؤالًا عن إحدى فرضياته، لكن هذه الحتمية ليست جوهر أخلاقياته، أليس كذلك؟ أليس ما يكتبه مضيعة للوقت؟ ما جدوى قراءته بعد أن قررت قراءته؟ ما جدوى معرفة هذا؟ حسنًا، ماذا تقصد بـ"ما الجدوى"؟ ما المقصود بـ"الجدوى "؟ عندما يتحدث عن أن ،أفضل ما يمكن فعله هو، كما تعلم، التخلي عن بعض التوجهات الفكرية للوصول إلى مستوى فكري معين يبدو أنه لا يهم إن كنت أحاول فعل ذلك أم لا، لأن كل شيء محكوم عليه .إذًا، هل تقصد بـ"الجدوى "ما الهدف، أم أنه يقود إلى استنتاج متناقض؟ أيهما تقصد، الهدف أم الاستنتاج المتناقض؟ إذن أنت تحاول أن .تجادل بأن سبينوزا متناقض مع نفسه

.كنتُ آمل أن تطرح السؤال من زاوية أخرى، وتسأل :إذا كان كل شيء مُقدَّراً، فما جدوى المحاولة؟ كما ترى حسناً، قصده هو، وهذا معنى ثالث لكلمة "جدوى ."المقصود هو أن كون كل شيء مُقدَّراً لا يُلغي جهودنا الفردية، لأن العملية السببية هي العملية التي تتضمن جهدنا الفردي، والتي تتضمن حتى طرح السؤال" :ما .الجدوى؟ ."مع ذلك، قد تكون هذه فكرة مُبهمة

لأن كل تلك الأمور مُحددة سلفًا .ولذا، فإن عمليات التفكير التي نخوضها، من نقاش حول ما إذا كان الأمر متناقضًا أم لا، هي جزء لا يتجزأ من العملية التي تدفعنا قدمًا .تذكر جيدًا مدى حتمية العمليات الفكرية .بالنسبة له

ويمكنك أن ترى الأمور من خلال تجربتك الخاصة بهذه الطريقة .قد تنغمس في نقاش حاد مع سبينوزا في .إحدى الأمسيات حتى تذهب إلى الفراش، لكن عقلك لا يهدأ .يستمر النقاش بلا توقف

وأنت ترد على بعض براهينه ومقترحاته في الساعة الثالثة صباحاً، وأنت بكامل وعيك .تتساءل :هل يحدث هذا لك؟ حسناً، ربما لا يحدث هذا في هذا المثال تحديداً ، لكن هذا النوع من الأمور يحدث لكثير منا، على .ما أعتقد

.أجل .حسناً، كما ترى، هناك عملية حتمية .أنت لا تتحكم بها

وحتى عند اتباع خطوات البرهان الاستنتاجي، ينجذب المرء حتمًا إلى النتيجة المنطقية .أترى ؟ في محاضرة الليلة الماضية عن الموسيقى اليابانية، وصل البروفيسور مول إلى مرحلة كان يغني فيها أو يعزف بضع عبارات .على البيانو، ثم يبادر الجمهور تلقائيًا بتأليف العبارات التالية

هاه؟ أتعرف، الأمر أشبه بأفلاطون مع الغلام العبد الذي يحل مسائل رياضية .وهنا مول مع الصبيان .والفتيات العبيد الذين يحلون مسائل موسيقية .ويبدو أنهم كانوا يعرفون إلى أين ستؤول الأمور

أجل، تقول :ما الفائدة؟ لا أستطيع مساعدة نفسي .أنت تساعد نفسك طوال الوقت .مع أن مساعدتك لنفسك محددة مسبقًا بمساعدات أخرى قدمتها لنفسك على طول الطريق، والتي كانت بدورها محددة بـ...

وبالطبع، فإن طريقة تفكيرك تتبع أنماطًا محددة، لذا أتوقع منك هذا النوع من الأسئلة يا ديفيد .إنه نوع الأسئلة الجيدة التي يطرحها ديفيد دائمًا .لذا، هناك نمط يمكن التنبؤ به في تفكيرنا.

لماذا؟ حسنًا، أظن أن هذه هي الطريقة التي كان سبينوزا سيتناول بها الموضوع .أشعر ببعض التوتر لطرح سؤال لأنك قد تظنه سخيفًا أو ما شابه .أنت قلت ذلك.

ما لا يعجبني في النزعة العقلانية عند سبينوزا، في هذه الحالة، هو أنها تبدو وكأنها حبيسة عزلة لفترة طويلة. فهم لا يبدو أنهم يأخذون التجربة بعين الاعتبار .بمعنى أنهم يفسرونها بوسائل عقلانية، لكن مع ذلك، أشعر أحيانًا برغبة في هزّهم بقوة والقول :لا، ليس الأمر كذلك حقًا.

أعني، انظر إلى طريقة عملها .لحظة، التجربة ليست رأياً.

الرأي فكرة ملتبسة .يبدو لي أن هذا يتوافق تماماً مع الكتاب المقدس .فنحن نرى من خلال زجاج معتم.

إن لم تكن هذه فكرة ملتبسة ، فما هي إذن؟ أنت تأخذ بعين الاعتبار ما تراه من خلال زجاج معتم، لكنك لا تعتبره الكلمة الأخيرة حتى ترى الأمور بوضوح أكبر .كما تعلم، فإن نسبية الإدراك الحسي فكرة قديمة من بدايات الفلسفة الغربية .هل تقصد؟ خذ النسبي كمثال .

خذ الأمر على محمل الجد .هل تعتبره الكلمة الأخيرة؟ كلا .الخبرة وحدها لا تكفي أبداً.

كما ترى، سيرد سبينوزا بهذه الطريقة .بصراحة، سأرد أنا أيضاً .وأعتقد أن حتى التجريبي سيرد بهذه الطريقة، وسيقول إن التجربة المجردة ليست كافية.

لأننا نحتاج إلى تحليل تجاربنا بشكل كافٍ لنتمكن من فرزها وتنظيمها واستخلاص النتائج .وبالطبع، يكمن جوهر سؤالك في أنك لا تحب الشخص العقلاني الذي يعتبر كل شيء بديهيًا .أجل، وأنا كذلك .أنا الآن أطرح وجهة نظر مخالفة.

لكن عدم إعجابك بالعقلاني الذي يقول إن كل شيء بديهي لا يعني أننا لا يجب أن نُقدّر حقيقة أن شيئًا ما بديهي على الأقل .والتجربة وحدها لا تكفي .صمت مطبق، كأنني قتلت القس أو ما شابه.

هل التجريبية مقدسة إلى هذا الحد؟ يبدو أن المفاهيم يجب أن تكون قابلة للترجمة بطريقة تجريبية .نعم. أجل.

حسنًا، ما الذي تجده غير قابل للترجمة؟ ما الذي لا يمكن ترجمته في فكر سبينوزا؟ إنه سؤال وجيه جدًا، سؤالك أنت، وليس سؤالي .يبدو الأمر وكأنه مزيج من أفكار متضاربة، أليس كذلك؟ الآن، وفقًا لسبينوزا، فإنهم ينجذبون إليه.

أجل، أجل .أجل، ولكن عندما أسألك، ماذا كنت تقصد بذلك؟ هل كنت تعني ما قلته؟ فتقول :نعم، بالطبع. كنت أعني .ما أقوله هو ما أقوله.

أنت تخاطب المنطق .من أنت؟ هل أنت جاك أم بيل؟ بيل .هل تقصد بيل أم لا؟ أقصد بيل.

أنت تستند إلى المنطق .لو لم تستند إلى المنطق، لما استطعت التواصل .لما استطعت العمل في عالم يعتمد على مرجعية أي شيء محدد .

لن تعرف ما إذا كنت تقصد هذا أو ذاك .المنطق يصف كل نوع من أنواع الأفعال والأفكار والكلمات التي نستخدمها. .القانون الأساسي للمنطق هو قانون الهوية.

أ يساوي أ وليس غير أ .لذا لا يمكنك إيلاء أي اهتمام لأي عنصر أ محدد دون قانون الهوية .لم يكن بإمكانك طرح سؤالك لو كان ذلك بسبب قانون الهوية.

أجل، هذا جيد كأساس، لكنه لا يشمل بالضرورة جميع الجوانب .حسنًا، هل يوجد مجال من مجالات الخبرة لا يتأثر بذلك؟ الخبرة مرتبطة بأشياء محددة ذات هوية .الآن، أعتقد أنني فهمت ما تقصده، وهو أن الاستدلال الاستنتاجي، والبراهين الاستنتاجية، أشبه بتدريبات ميدانية منها بتكتيكات الحياة الفعلية.

.نعم، أوافق على ذلك .هذا ما يقوله فيتغنشتاين

هذا أسلوبه المجازي .أعتقد أنه صحيح .لكن الأمر هو أن التدريب العسكري في ساحة العرض يعلمك نوع الدقة التي ستكون ضرورية في تكتيكات الحياة.

.دعني أوضح الأمر بطريقة أخرى .ما يحاول فعله هو تطوير فلسفة للحياة بطريقة علمية .انظروا إلى أين يتجه

،لكن لماذا بالأسلوب العلمي؟ حسنًا، بسبب الفراغ المعرفي في تلك الأيام، أتذكر؟ أترى ؟ بسبب أزمة السلطة التي كانت السمة الغالبة على القرن السابع عشر، بيكون، وهوبز، وديكارت، وسبينوزا، كان الحل في هذا الفراغ المعرفي هو العلم .هوبز .أتعرف، كيف يمكننا تأسيس السياسة لتجنب كل هذا الصراع الداخلي؟ بتأسيسها على أساس علمي.

أترى ؟ حسناً، سبينوزا يريد أساساً علمياً لفلسفة الحياة .الآن، أظن في ضوء ذلك أنك تقول إنك لا تعتقد أنه من العملي أو الممكن عملياً أن يكون لفلسفة الحياة أساس علمي .حسناً، ليس بالضرورة.

نعم، من الناحية التكتيكية، ينجح الأمر، ولكن دعنا نتابع هذا .حسنًا، هل تريد أقل من السعادة ؟ هذا هو موضع نجاحه .أوه، الآن تقول أنت ...لكن كما ترى، اعتراضك الآن ليس على المنطق، بل على الاستنتاجات التي يتوصل إليها بناءً على هذا المنطق.

وإذا كنتَ تعترض على ذلك، فعليك أن تجد موضع الخطأ الذي وقع فيه .أين الدليل غير الصحيح؟ أيّ المقدمات خاطئة؟ لأنه إذا وافقتَ مبدئيًا على قوانين المنطق، فمع التسليم بصحة بعض المقدمات، فإن النتائج تتحقق .إذا كانت المقدمات صحيحة في الواقع، فإن النتائج كذلك .أترى ؟ ولذا، كما ترى، عليّ أن أدافع عن سبينوزا في هذا الشأن.

إذا قلتَ إنه لا تأثير له على الحياة، فماذا في ذلك؟ إذا قلتَ إنني لا أحب تلك الاستنتاجات، أو الطريقة التي يتوصل بها إليها، حسنًا، تحديدًا، لماذا؟ ما الخطأ؟ أترى ؟ وآمل أن نبدأ في إدراك أنه إذا لم يعجبك ما يفعله سبينوزا، فعليك أن تجد الثغرة في منطقه .لا تتجاهل المنطق .فهذا كمن يخلط الطفل بماء الاستحمام.

إذا تخلّيتَ عن المنطق، فلن تُفكّر في شيء، ولن تفعل شيئًا .لن تستطيع أبدًا أن تقول :أنا هو، أليس كذلك؟ ستُعاني حقًا من مشكلة في الهوية، سترى .لا، المشكلة ليست في المنطق؛ بل في طريقة استخدامه للمنطق.

قد يكون هذا النوع من المنهج العلمي الذي يستخدمه غير مناسبٍ لفلسفة الحياة .حسنًا، لفهم سبب لجوئه إلى هذا المنهج، دعونا نعيده إلى سياقه التاريخي مع تلك الأزمة المعرفية .إلى أين يتجه إذًا؟ لنفترض أنه يتجه .إلى عقيدته اليهودية

أليس هذا ما يفعله، أي إيجاد أساس لفهمه للدين اليهودي؟ نعم .يمكنك انتقاده، بالطبع، لأنه يتناول الأمر بهذه الطريقة بدلاً من الرجوع مباشرةً إلى نصوص العهد القديم .حسنًا، كما ترى، لديه مشاكل مع نصوص .العهد القديم

تلك الرسالة، ما اسمها؟ إنها "الرسالة اللاهوتية السياسية "، التي كتبها، كما ترى، طرحت بعض المشكلات التي واجهها مع اليهودية، مع اليهودية الأرثوذكسية .لذلك، انقطع عن هذا المسار، أي عن وحي العهد القديم كما هو .ولكن ما هو قصد وحي العهد القديم من الحديث عن النظرة اليهودية للحياة؟ حسنًا، إنه يُظهر لنا .أن محبة الله، وطاعته، هما السعادة

إذن، هذا هو مصدر تأثره باليهودية، كما ترى .الآن، كنتُ أطرح وجهة نظر مخالفة لأنني لا أعتقد أنه يمكننا .توجيه النقد قبل الفهم .فكثير من النقد ينبع من عدم الفهم

نعم، أختلف مع بعض تعريفاته، وبالتالي مع بعض بديهياته .ولديّ مشاكل عديدة مع المنهجية عموماً .أعتقد . أن هناك طرقاً أخرى لمعالجة الفراغ المعرفي

أجل .إلى أي مدى هو متشدد في حجيته؟ في موضعين، يتحدث عن أن الشفقة والتوبة عديمتا الجدوى .تمامًا .وهذا يعني ...من جهة، يمكنك القول :لقد أحرقت يدي على الموقد

حسنًا، لن أندم على ذلك الفعل .سأعيد يدي إلى الموقد .حسنًا، كما تعلم، لماذا نبكي على اللبن المسكوب؟ .هذا ما يقوله

ما الفرق الذي سيحدثه ذلك؟ أعني، هل يترك مجالاً للتعلم من التجربة؟ نعم، ستتأثر بها .تتأثر، ولكن .ليس ...حسناً، التأثر بها يعني وجود عملية سببية تؤثر فيها التجارب السابقة على السلوكيات المستقبلية ،لكن عندما نتحدث عن التوبة، والشعور بالأسف على شيء ما أو على شخص آخر، والشفقة كما التوبة .سيقول :لا، إنها أهواء قد تطغى علينا وتمنعنا من صفاء الذهن، كما ترى

إذن، الماضي ليس شيئًا يُتذكر .أوه، هو لا يقول إنه ليس شيئًا يُذكر ...ليس الأمر تخطيطًا للمستقبل، إنه . فقط ...لا، لا، هو لا يقول ذلك .كما ترى، التوبة ليست مجرد تذكر للتخطيط للمستقبل

الندم شعورٌ بالندم الشديد الذي يُقيّد المرء .هكذا يُعبّر عنه .ويبدو أنه يتحدث عن هذا الشعور وكأنه في .أقصى حالاته باستمرار

حسنًا، أجل، ربما نحتاج إذًا إلى الخوض في حديثه عن العاطفة لنفهم ذلك .فهو يُميّز بين الانفعالات وبعض المشاعر الأخرى .أودّ ...إذا كان يقول إن الشفقة والندم ليسا جيدين، ففي ظلّ الحتمية، يبدو وكأنك لا تملك .خيارًا في مسألة الشعور بالشفقة من عدمه

،"أو كيف ذلك ...حسنًا، كما ترى، بينما تقول لنفسك" :إذا حُسم الأمر، فلا خيار لي سوى الشعور بالندم تبدأ بالتفكير في ذلك ، ويبدأ خط فكري آخر بالظهور في وعيك، وهو ما يحدد موقفك ورد فعلك .أي أن ما .أحتاجه ليس مجرد عاطفة طاغية .دعني أوضح لك الأمر، فأنت تبحث عن فكرة واضحة ومحددة، كما ترى

.إذن، أنت تفعل شيئًا حيال ذلك، وهذا يدل على قدرتك على ذلك .لكن القدرة لا تعني بالضرورة حرية الإرادة .كما ترى، لأنك قادر

،لماذا؟ بمعنى أن هناك عوامل أخرى تدفعك للقيام بذلك .هناك أشياء يمكنك فعلها لأسباب مختلفة .أعني .يمكنني أن أسقط من سطح بلانشارد إذا دفعني أحدهم

.أستطيع .أتمنى ألا أفعل .لنرى

.لكن ليس كل خيار هو خيار الإرادة الحرة .لديّ تساؤلات، في الحقيقة ، حول نزعته العقلانية

أجل .لقد علّقتَ بشيء من قبيل :ما هي التجربة التي لا تجدها في المنطق؟ حسنًا، سؤالي الأول هو :يبدو لي .أن معظم ما نعتبره عقلًا محضًا، أو بالأحرى جزءًا كبيرًا منه، مستمد من التجربة، بمعنى قانون عدم التناقض أعني، من المثير للاهتمام أنهم كلما حاولوا إثبات قانون عدم التناقض، يلجؤون إلى التجربة ويقولون :من .الواضح أن الرجل لا يمكن أن يكون هنا، ولا يمكن أن يكون هنا في الوقت نفسه، أو ما شابه ذلك

وهذا هو سؤالي الأول، إذ يبدو أن الكثير من هذا الكلام مبني على ...أعني، أن الكثير من العقلانية متجذر في ،التجريبية، بمعنى أنه حتى ما يقوله بكلماته، لا أستطيع التفكير إلا بالكلمات .دعني أجيب على ذلك أولاً .بالطريقة التي كان سيجيب بها هو

يجب التمييز بين الوضع المنطقي لفكرة أو معتقد والعملية النفسية التي نكتسبها من خلالها .كيف يتعلم الطفل الصغير أن واحدًا زائد واحد يساوي اثنين؟ حسنًا، من خلال رؤية هذا وذاك .العملية النفسية هي، إن .صح التعبير، عملية تعلم تجريبي

،لكنّ الوضع المنطقي لقولنا "واحد زائد واحد يساوي اثنين "ليس مجرد تعميم تجريبي .الآن، كما ترون مصطلح "قبلي "لا نستخدمه دائمًا بدقة ووضوح وتمييز .وأعترف بذلك، لأنّ مصطلح "قبلي "يشير، من الناحية الفنية، كما سنرى عند دراستنا لكانط، وقد كنتُ أؤجل استخدامه حتى ذلك الحين، إلى حقيقة كونية .وضرورية

حقيقة كونية ضرورية منطقياً ولا يمكن أن تكون خاطئة .قد تدرك هذه الحقيقة من خلال شخص يخبرك .بها، أو من خلال تجربة تلفت انتباهك إليها

.لكن ما يتعامل معه في هذا السياق هو قدر كبير من الحقيقة البديهية ، أي أنها عالمية وصحيحة بالضرورة .ومخالفتها تناقض ذاتي .لذا فإن القول بأننا نتعلمها من خلال التجربة أمر غير ذي صلة

هل فهمت؟ الأمر الآخر الوحيد، كما يبدو، هو ما يجعلني عاطفياً، بمعنى ما، لستُ على ما يرام .أجل، أنا أيضاً .لا أحب ذلك عاطفياً .أقول لنفسي دائماً عندما نصل إلى سبينوزا، آه، سبينوزا، كما تعلم

أفضّل ديكارت على لايبنتز، لكن سبينوزا؟ هل عليّ أن أغوص في فلسفة سبينوزا مجدداً؟ نعم يا هولمز، عليك .ذلك .الأمر فقط أنها تبدو فلسفةً عتيقةً، تقريباً، بمعنى ما

.يا للعجب !كان يتحدث عن كيف يعزز ذلك الشعور بانعدام الهدف .أجل

يكاد يكون الأمر أشبه بنظام صارم للغاية ...لا، لا أعتقد أنه يشجع على انعدام الهدف .ولا تتفوه بكلام بذيء .عن الكالفينية .كل ما تفعله هو التعبير عن أفكار مشوشة

.أين كنا؟ لا، أعرف ما تقوله .يبدو الأمر غير ذي صلة .ما الفائدة؟ يبدو أنه انتهى

.غامض .نعم، هناك الكثير من الأشياء الغامضة .الرياضيات كذلك

لكن هل ستتخلى عن الرياضيات؟ قد تبدو معقدة، لكنها قيّمة ومفيدة للغاية .أترى ؟ وهو لا يقول إن هذه هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى هذه النتائج .كلا، إنه يحاول ببساطة أن يُظهر أنها قابلة للإثبات بالطريقة .التي كانت تُفهم آنذاك على أنها علمية

.حسنًا، إذا كنت لا ترغب في فهم التفكير العلمي في القرن السابع عشر، فأنت مشوش بشأن أمور أخرى .صحيح .لكنني أتفق

ليس هذا النوع من الكتب الذي أفضّل قراءته في وقت متأخر من الليل عندما أرغب بالاسترخاء .كلا، لا أحمل سبينوزا معي في إجازاتي .كان لديّ أستاذ دراسات عليا أخذ معه نقد كانط للعقل الخالص خلال خدمته .العسكرية في الحرب العالمية الأولى، وكان يحمله في جيبه الخلفي أثناء تجواله في أوروبا

أظن أنه كان يُخرجها بين الحين والآخر أيضاً .بعض الناس يفعلون ذلك .لكن صدقني، أنا أفضل أن أفعل ذلك .مع كانط بدلاً من سبينوزا

لكن بالمناسبة، لو كنت رهينة لمدة سبع سنوات وكان سبينوزا معك، لنجوت من سبع سنوات كرهينة بشكل أفضل بكثير مما لو كان معك مجموعة من أوراق القصص المصورة .هؤلاء الرجال يقولون الآن إنهم .أفلتوا .ما كان يشغل عقولهم في الماضي هو ما أبقاهم على قيد الحياة

. أجل، هذا ما أفكر فيه .سبع سنوات .سيستغرق الأمر مني مراجعة كل تلك البراهين

أجل، لكن هناك من يزدهرون في هذا المجال .صديقي آلان دونيغان، الذي كان يُدرّس في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا)كالتك (وتوفي قبل عام تقريبًا، كان فيلسوفًا بارعًا واعتنق المسيحية قبل حوالي خمسة عشر .عامًا .أعني، أن آخر كتاب ألّفه كان عن سبينوزا

وأريد أن أحصل على الكتاب وأقرأه لأرى ما فعله بسبينوزا .لكنه كان متحمساً لسبينوزا .وبصراحة، كان يتمتع .بعقلية قوية وثابتة

نعم، هذا يشير إلى الأسباب النفسية وراء الاهتمام بسبينوزا .وكانت لديك أسباب نفسية لعدم الاهتمام به .لو .كنتَ تتمتع بذكاء حاد، لربما كنتَ مهتمًا بسبينوزا

لكن من الواضح أن هناك معجبين بسبينوزا، كما يوجد معارضون له .بالمناسبة، أنا سعيدٌ بدخولنا في هذا النقاش، لأنني كنت أخطط لذلك في المرة القادمة .هذا النوع من ردود الفعل يظهر دائمًا في هذه المرحلة من .الدورة

كنتُ أخطط في المرة القادمة للحديث عن أهمية هذا النوع من الاستكشاف الميتافيزيقي وغايته .لذا فأنت .توفر عليّ الكثير من الجهد في هذا الأمر .لأنك إذا قلتَ ذلك، ستُخرجه من صمتك في هذا النوع من النقاش

إنها أكثر فعالية بكثير من مجرد إلقاء بضعة أسطر عنها .لا أدّعي امتلاك ذاكرة خارقة، لكن لديّ صلة بالفكر الشرقي.

وقد دفعني ذلك إلى الرغبة في استكشاف بعض التأثيرات الشرقية في الفكر اليهودي .أتساءل عن مدى تأثير ...سمعتُ فيما يتعلق بالكتابة عن المنطق اليهودي، والمنطق العبري ،ذلك عليه، أو ما إذا كان نابعًا من ومفهوم منطق الكتل برمته .هناك ارتياح أكبر بكثير تجاه هذا النوع من المفارقات التي نشعر نحن، بحكم تدريبنا على الفكر اليوناني، بعدم الارتياح تجاهها.

لقد وجدتُ الأمرَ مُثيرًا للاهتمام حقًا، وقد أضفى بُعدًا جديدًا تمامًا على أساليب التفكير ...تذكروا ما قلته عندما كنا نتناول سبينوزا .إذا أردتم مثالًا نموذجيًا للفلسفة الوحدوية، فهذه هي الفلسفة الأكثر دقةً وتفصيلًا .ليس بالضرورة أن يستخدم جميع أتباع الوحدوية هذا النوع من المنهج العلمي.

بالتأكيد، لا يبدو أن وحدة الوجود الشرقية تفعل ذلك .لكن القيمة، بغض النظر عن القيمة التاريخية والتأثير وما إلى ذلك، في دراسة سبينوزا تكمن في فهم ما تنطوي عليه وحدة الوجود .وأستنتج من اعتراضاتك، مثل حتميته، أنك تفهم جوهر وحدة الوجود.

كما ترى، الأمر واضح .إن تأثير وحدة الوجود الشرقية أكثر وضوحًا في الميتافيزيقا الوحدوية في القرن التاسع عشر منه هنا .ويشير إلى نقطة مفادها أنه طالما يعيش الناس في طاعة للعقل، فإنهم يتفقون دائمًا.

ثم يمضي ليقول إن الرجال المتفقين، الملتزمين بالعقل، لا ينفعون إلا بعضهم بعضًا .وهذا يعني، على ما أظن، أن من لا يتحلى بالعقلانية عديم الفائدة .هل فُسِّر هذا الكلام من قِبَل أحدٍ على أنه تأييدٌ لأفكار استبدادية؟ لا أظن ذلك.

لا أعتقد ذلك .فهو من أشدّ المدافعين عن حكم العقل، كما ترى، لذا فإنّ الاستبداد، الذي يستغلّ العواطف وينبع من العاطفة الجياشة، سيكون آخر ما يتمناه .أجل.

حسنًا، بما أنك صوّرتَ محاضرتي لهذا اليوم، وهذا لا بأس به، فمن حقّهم أن يُصوّروا أحيانًا .ليس المحاضر، بل المحاضرة فقط .دعني أرى إن كان بإمكاني تلخيص ما كنتُ أنوي قوله عن هذا النوع من الأنظمة الميتافيزيقية بهذه الطريقة.

وسنبني على هذا عند التطرق إلى لايبنتز .هؤلاء الثلاثة، ديكارت، سبينوزا، ولايبنتز، هم العقلانيون العظماء الثلاثة، من الناحية المعرفية، المعرفة القبلية .هم العقلانيون العظماء الثلاثة في تاريخ الفكر الغربي.

تفسير العالم وفقًا لمفاهيم مسبقة معينة تظهر في تعريفاته .أجل .هذا ما يُسمى أحيانًا بالميتافيزيقا التأملية.

تذكر أن مصطلح "التأملي "لا يشير إلى التكهنات الجامحة، فهذا ضرب من الخيال، بل يشير إلى الرؤية بعين العقل، بوضوح ودقة .الميتافيزيقا التأملية .وهذا جزء مما تراه، على ما أعتقد.

هذا النوع من الميتافيزيقا التأملية، الذي يسعى إلى رسم صورة للواقع، يميل إلى إثارة إشكاليات حول علاقة الظاهر بالواقع .علاقة الظاهر بالواقع .يقول سبينوزا :هكذا هي الأمور، فتقول أنت :نعم، ولكن، كما تعلم، ،وعليّ أن أبذل جهدًا كبيرًا لأجيب على هذا السؤال نيابةً عن سبينوزا.

أنت تقول ما هي مظاهرك في الواقع .أما عن المظاهر، فليس لدينا سوى أفكار مشوشة .الآن، ما الذي يُولّد هذا النوع من الميتافيزيقا التأملية، التي تُنشئ هذا التوتر بين المظهر والحقيقة؟ والسبب الكامن وراء ذلك هو .المشاكل التي يواجهونها مع عالم المظاهر

.مشاكل عالمهم الذي يعيشون فيه .أترى ؟ عالمهم الذي يعيشون فيه .فراغ معرفي

.فراغ في السلطة .أترى ؟ صراعات متزايدة بين العلم والدين .وهذا أكثر وضوحاً في فكر لايبنتز

سيأتي ذلك .أترى ؟ إذن ما يحاولون فعله هو معالجة المشاكل في عالمهم، عالم تجاربهم .أترى ؟ من خلال .الاستناد إلى حقائق عالمية وضرورية معينة

.والآن، هناك معاصر لهؤلاء الناس .من هو الفقيه؟ علم الفقه

.هوغو غروتيوس .مفكر هولندي .زمن حرب المائة عام

.حرب دينية .الكاثوليك ضد البروتستانت .تدمير أوروبا

أرأيت ؟ لقد شهدت أوروبا صراعات دينية في فترة ما بعد الإصلاح .ماذا عن إنجلترا؟ والصراعات الدينية التي .كانت وراء الحرب الأهلية الإنجليزية، في زمن توماس هوبز

،أترى ؟ والأمر نفسه ينطبق على أوروبا .ما فعله غروتيوس هو البحث عن أساس عالمي وضروري للقانون .لقوانين تحكم ممارسة الحرب وتحدّ منها

عالمي وضروري لا حزبي .أترى ؟ ليس رأيًا طائفيًا، بل شيء ملزم عالميًا .أترى ؟ حسنًا، إنه أشبه بالصراع بين .الشرق والغرب في الأربعين عامًا الماضية

ما كان الأمل الوحيد للتوصل إلى أي اتفاق وتجنب الحرب؟ حسنًا، ما كان علينا فعله طوال أربعين عامًا هو إيجاد شيء يحظى بإجماع عالمي .وإذا لم نتمكن من ذلك، فلن نتمكن من التوصل إلى أي اتفاق .ويبدو أن .النقطة الوحيدة التي يجب مراعاتها في الإجماع العالمي هي البقاء

.نريد البقاء، وهم يريدون البقاء .لذا وصلنا إلى طريق مسدود .أترى ؟ إنها سياسة الردع

حسنًا، الآن وقد أصبح هذا المأزق غير ضروري بالشكل الذي كان عليه .لكن الفكرة هي أنه عندما تتضارب وجهات النظر، فإن السبيل الوحيد لحلها، والسبيل الوحيد لمنع الصراع، هو العودة والبحث عن أرضية . مشتركة .أترى ؟ حسنًا، هذا جزء كبير من الدافع

بمعنى آخر، الدافع وراء الميتافيزيقا التأملية عملي للغاية .أما عند سبينوزا، فهو أقل وضوحًا .أعتقد أن جوهرها عند سبينوزا، بصراحة، يكمن في تجربته الشخصية كيهودي في عالم بروتستانتي، لاجئًا من مذبحة .إسبانيا، يعيش في هولندا الحرة، لكن كيهودي غير ملتزم بالتقاليد، يُعامل كما لو كان ملحدًا

أترى ؟ وتذكر أن ذلك كان في تلك الأيام جريمة يُعاقب عليها بالإعدام في كثير من الأحيان .ربما لم يكن الأمر كذلك في هولندا، لكنه كان كذلك في بعض الأماكن .فماذا يفعل إذن؟ يحاول تقديم أساس علمي للحقائق .الكونية

أترى ؟ أجل .لذا أعتقد أن هذا هو نوع الدافع .يمكنك القول، إن شئت، إن بعضه، في بعض الحالات، مدفوع بالدفاع عن العقيدة.

ليس سبينوزا بقدر ما هو ديكارت .كان الدافع هو الحاجة إلى رؤية للعالم بعد انهيار الرؤية العالمية في العصور الوسطى .الحاجة إلى صياغة رؤية علمية للعالم ومعرفة إلى أين ستؤدي.

أترى ؟ لأنك تحتاج إلى فلسفة تعيش وفقها .يبدو أن العلم يهيمن .ربما يكون ذلك نتاجًا للتفاؤل بشأن أساليب المعرفة الجديدة.

المنهج العلمي .حسنًا، دعونا نرى إلى أي مدى سيقودنا هذا .هل يمكن تطبيقه في مجالات أخرى؟ كما فكر بيكون، وهوبز، وديكارت، وسبينوزا، وليبنيز، يفكر الناس اليوم وفقًا لتقاليد المذهب الطبيعي العلمي.

أترى ؟ إذن، الدوافع عملية للغاية .أنت تشكك في الافتراضات .لكن هذا يختلف عن التشكيك في المشروع نفسه.

أترون ؟ بصراحة، نحن في الفلسفة المعاصرة في أمسّ الحاجة إلى مناهج ميتافيزيقية تأملية تُقدّم بدائل للميتافيزيقا الطبيعية العلمية التي تمّ تطويرها، ويجري تطويرها، بدقة متناهية في الفلسفة الأمريكية المعاصرة .أترون ؟ الآن، نحصل على بدائل مُطوّرة بشكل ممتاز في فلسفة الدين .هذا ليس سوى جزء من الصورة.

هناك الكثير من التطورات في مجال نظرية المعرفة مع وضع هذا الأمر في الاعتبار .لكن هذا ليس سوى جزء من الصورة .نحن بحاجة إلى التطورات الميتافيزيقية .

،أرأيت ؟ لأننا نقف عند مفترق طرق تاريخي آخر، حيث تتغير النظرة إلى العالم، ويتغير المنظور العلمي وتتغير المنهجية .لا تحتقر النظرية .أرأيت ؟ النظرية توجه الممارسة.

.إنها نظرية تخلق إمكانيات .إنها نظرية تنتقد الممارسات غير المجدية .الميتافيزيقا التأملية هي بناء نظري

يحدث هذا في كل مجال من مجالات المعرفة .وهو أمر لا بد منه .أترى ؟ إنه ضروري للتطور في أي مجال من مجالات البحث.

.حسنًا، هذا كان خطابي .على الأقل ألقيت محاضرة لمدة خمس دقائق .لا، اسمع، هذا نقاش رائع

.هذا النوع من النقاشات هو ما أعتقد أن أستاذ الفلسفة سيحب أن يخوضه في أي كلية أو جامعة في البلاد .لقد كان نقاشاً ممتازاً